مع القرآن

قصة

زينب بنت جحش

زوجة النبي صلى الله عليه وسلم

الدكتور محمد بديع شريف

الناشر: مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - بعابدين
القاهرة - ت: ٩٣٢٧٤٧٠

الطبعة الأولى

رجب سنة ١٤٠١ هـ – مايو سنة ١٩٨١ م

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامي - ميدان لاظوغلي
القاهرة - تليفون ٣٠٥٥٦

إهـــداء

الى الشباب المسلم ..

الى كل من يضىء قلبه نور الايمان ..

الى كل عربى ينبض فى عرقه دم العروبة ..

* أيها الشباب المسلم ان فى قرآنكم ثروة فى الاعتصام بين العبد وربه وثروة فى التنظيم الاجتماعى بمادته وروحيته، فيه عدل ، ومساواة واخاء ، فيه تفكير يصل بكم الى الايجاد والابداع لتكوين المجتمع الأفضل .

* لقد مضت على نزول آياته السنون فى أكثر من أربعة عشر قرنا ، وتداول هذه الآيات المفسرون ، فمنهم من أصاب ، ومنهم من أخطأ ، أما الخاطئون فقد تحداهم الجهل فمالوا الى الروايات الاسرائيلية المدسوسة فغمروا بعض التفاسير بضباب اسرائيلى ضعيف ، مهلهل تموج فيه الخرافة .

واحسرتاه ؟! لقد اصبحت هذه الخرافات من الحقائق الثابتة فى اذهان الكثيرين ، فاتخذوا منها مادة للوعظ ، والارشاد ، وهم يجهلون أنها من المفتريات ، التى تترك الواعين حيارى بين الكذب والتصديق ٠

لقد اعتبرت تفسير هذه الآية الكريمة غمامة سوداء نسجتها الاسرائيليات فلما تحداها الدرس والتحقيق ٠٠ تهاوت تتوارى وراء أفق الجهل والمكر ، فظهرت الآية وضاحة الجبين ، وفق تلاوة القرآن ، ووفق الأسلوب العربى المبين ، ووفق التشريع الاسلامى الحنيف ٠

محمد بديع شريف



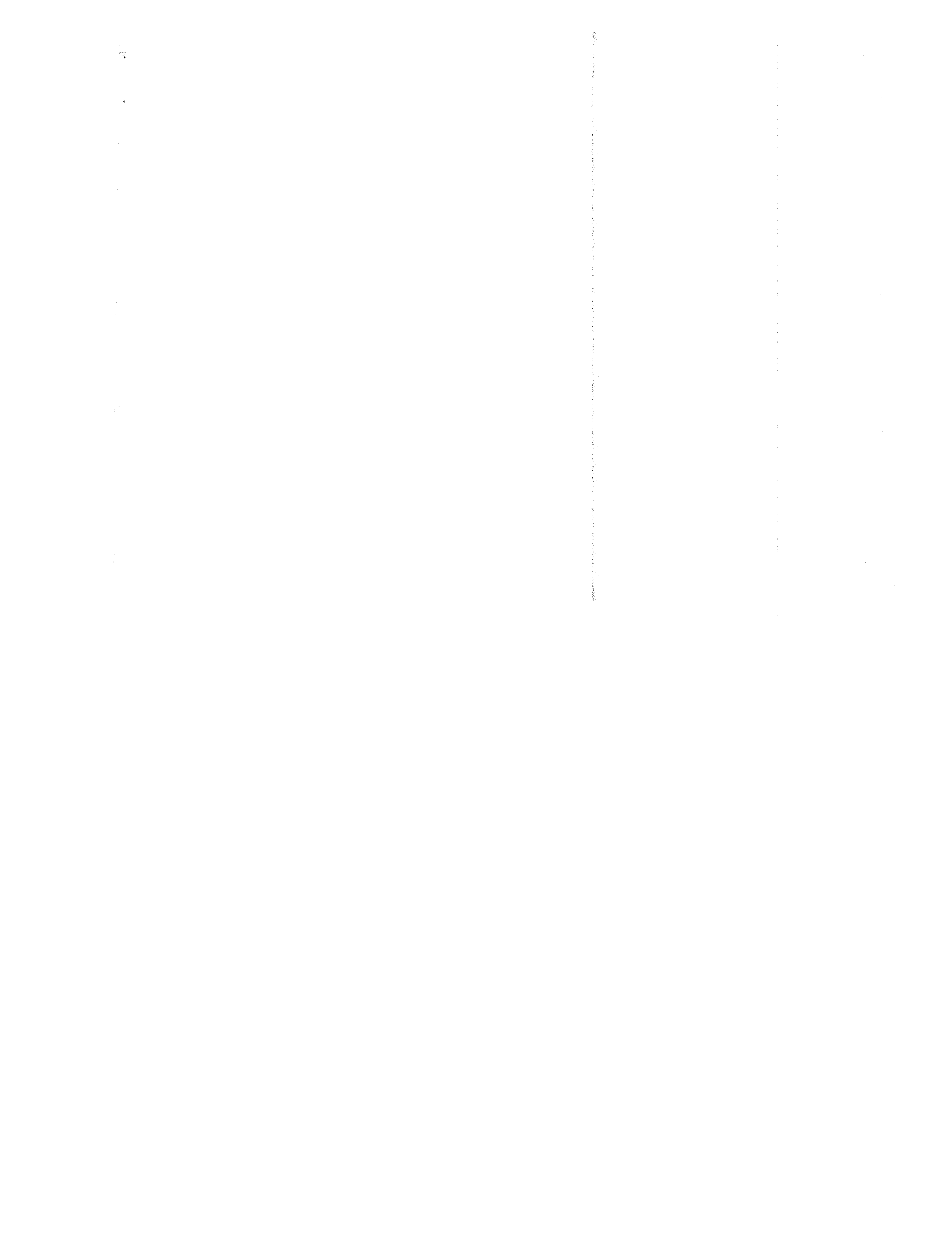
« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا .

واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا .

ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .. » .

(الأحزاب : ٣٦ ـ ٣٨)

***



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

انساع رقعة الاسلام ورسالة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه .. للأمصار ...

أوغلت جيوش الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ رضى الله عنـه ـ فى الشرق من ثغور العراق ، فقضت على دولة الأكاسرة ، وفتحت بلاد أرمينية وغزت أساطيله : قبرص ورودس ففتحهما ، وتحطمت أساطيل الروم فى واقعة الصوارى أمام أساطيل المسلمين ، وطفقت تمخر عباب البحر حتى وقفت على أبواب القسطنطينية . ومشت جنوده فى شـمال افريقيا بالفتح المبين وشرعت تحاول العبور الى الأندلس فى ذلك الحين ، ودخل الناس فى دين الله من كل حدب وصوب ، وكثير منهم فيهم العجمة أى لا يفقهون العربية ، وكانت اليهودية والمجوسية تتميزان من الغيظ لهذه الاشراقة الجديدة

المضيئة التى أبانت سبيل الرشاد للانسانية ، فرفعت معالم العدل والاخاء والمساواة ، وفى غمرة هذا الانتصار العسكرى والاجتماعى هال عثمان — رضى الله عنه — خبر له ما بعده، ذلكم هو : أن المسلمين فى الثغور والأمصار أخذوا يختلفون فى قراءة القرآن ، ويشتد الخصام فيما فيه يختلفون ، وصار أحدهم يفضل قراءته على الآخر ، وكان حذيفة بن اليمان جاء اليه وقال له : أدرك أمة محمد قبل أن تتفرق حول القرآن ، فاقدم — رضى الله عنه — على توحيد المصحف وأرسله الى الأمصار ثابتا كما حفظه الصحابة عن رسول الله ، وها هو ذا بين أيدينا اليوم ، معجزة البيان ورمز عبقرية اللغة العربية ، وعنوان حضارة خلافة مبدعة ، ما وضعت الا لترفع الانسانية الى مكانتها الرفيعة فى الوجود ٠

أدرك الخليفة مصير المسلمين فى هذا الخضم من العجمة فى الثغور والأمصار ، فوجه كتابه المشهور الى عامة المسلمين : منذرا ومحذرا من هذا الخطر ٠

جاء فى كتابه — رضى الله تعالى عنه :

٠٠ أما بعد ، فانكم بلغتم بالاقتداء والاتباع ، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم وان أمر هذه الأمة صائر الى الابتداع بعد

اجتماع ثلاث فيكم ، تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن . فان رسول الله قال : « الكفر فى العجمة » فاذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا . . .

فى هذا الكتاب يظهر بعد نظر الخليفة وقوة تفهمه للمجتمع الاسلامى الجديد الذى هو صائر لا محـالة الى طـريق غير طريق المؤمنين الصادقين فى ايمانهم ، وان هذا التحول سوف ينحدر الى المجتمع الاسلامى من ثغور ثلاثة : من سعة العيش ، ومن نبت ناشئة هجينة منحدرة من السرايا والاماء ، وأخطر الثلاثة العجمة التى يراد بها صعوبة تفهم الناس أحكام القرآن وأسباب نزول آياته ، لبعدهم عن أسرار العربية وأساليب البيان . ومن لم يفهم تكلف الشرح والتفسير،فابتدع واخترع، وقال بما لم يعلم ، وفى هذه الظاهرة ما فيها من الخطورة ، وهذا هو مكمن الخطر الذى كان الخليفة يخشاه ، فقد أبطرت الناس النعمـة ، وغيرتهم العجمة ، وتكلفوا فى التفسـير والتأويل وتململت اليهودية فأخذت تنتشر الاسرائيليات ، وشرعت المجوسية تدس مبادىء الوثنية ، ونشأت الغوغائية فى كثير من الأمصـار ، وكان عبد الله بن سبأ اليهودى رأس هـذه الغوغائية ، وهو مؤسس الحركة السبائية التى كانت الشجرة

الخبيثة التى تفرعت عنها الماسونية ، والصهيونية ٠ « المؤسستان اللتان تعبثان بمصائر الأمم » ٠

ولقد أخذت الاسرائيليات تتسرب الى تفسير الآيات وتوضيحها فى أول عهد الصحابة ، وكانت فى نطاق محدود ، ثم استشرى الاعتماد عليها فيما بعد ذلك فى العهدين : الأموى والعباسى ٠ حيث أخذ وضاع الحديث يدسون ويدلسون انتصارا لمبدأ أو توضيحا لفكرة ، وخاص فى هذه الأمواج المتلاطمة القصاصون الذين ينثرون الطرائف والنكات والخرافات فى وعظهم بغية اجتذاب العامة الى حلقاتهم ، ولعب الاخباريون لعبتهم فى ترويج الخرافات والأباطيل ، وأصبحت اكثر القصص المكذوبة تكاد تكون حقيقة واقعة ، فاذا استعصى على المفسرين شىء من البيان استعان بالاسرائيلية المنقولة عن التلمود ، والتوراة ، مبررا عمله بما جاء عن النبى — صلى الله عليه وسلم — « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ٠٠ ومن كذب على متعمدا فيلتبوأ مقعده من النار » (١)٠ وبقوله : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : « **آمنا بالله وما أنزل الينا** » (٢) ٠٠ الآية ٠

---

(١) البخارى فتح البارى جـ ٦ ص ٣٢٠ (٢) البقرة : ١٣٦

ومن ذا الذى يضمن صدق اليهود ، ويأمن مكرهم ، وهم اشد الناس عداوة للذين آمنوا .

لقد تكاثر الاخباريون والرواة ، وترجمت الكتب عن الآرامية والفارسية والهندية والاغريقية والرومانية ، وأخذ المتكسبون والراكضون وراء لقمة العيش والثراء يتسابقون فى نقل الأخبار واذاعتها بين الناس ، وأخذت الألسن تتناقلها : الصادق ينقلها عن الكاذب ، والكاتب المدون يأخذها عن المدلس ، وشغف الناس بالاسرائيليات ، وترددوا فى أخذها بين النهيين : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » بيد أن الاسرائيليات والخرافات وطرائف الأمم ومأثورها فى العادات والتقاليد ملأت صحف الكتاب والمدونين المتلهفين للأخبار حيثما جاءت . وشاع حذف الأسانيد ، وانحسر التحقيق ، واعتمد المفسرون كثيرا على الاخباريين ، وحملة الرواية .

لقد ضعفت المعرفة باللغة ضعفا شديدا ، وجهل الكثيرون أساليبها الدقيقة ، واضطر العرب فى عهد الراشدى الى وضع قواعد النحو والاعراب كى يتفهم الاعاجم وأبناء السرارى

أسرار اللغة ، وازدادت الحاجة الى النحو ازديادا مدهشـا فوضعت أسسه وقراعده فى المربد ومسجدى البصرة والكوفة ٠

ومع ذلك فقد ظل الجهل باللغة فاشيا بين الناس مع علمنا أن المربد ومسجدى البصرة والكوفة خرجوا الكتـاب والشعراء والبلغاء وعلماء النحو والفقه والحديث والتفسير . غير أن الروايات المضللة المنتشرة ، ضللت الناس ، وسهلت لهم الأخذ بهـا دون الرجوع الى الأصول والتدبر ، فربكت العلماء ، وشرع النقل يأخذ بعضه برقاب بعض دون تحقيق ٠

***

ومن الروايات التى أربكت المفسرين فى تفسير الآيات موضوع بحثنا هذا ما نقله ابن جرير الطبرى ، غفـر الله له جريرته ٠

من هو ابن جرير ؟ :

ابن جرير ، عالم من علماء المسلمين ، مؤرخ ومفسـر ، وينتهى وضع تاريخه والفراغ من تفسيره بانتهاء حياته ، بانتهاء القرن الثالث الهجرى ، وبضع سنوات من مفتتح القرن الرابع الهجرى فبيننا معه أكثر من ألفَ عام ، شهد عصـر

المامون وحضر خلافة المعتصم والواثق ، وشهد فتنة خلق القرآن فى ذروتها وهى فتنة عانى من جرائها العلماء الاضطهاد ، انها تذكرنا بذلك التحذير الذى نشره الخليفة ، حيث خشى مما سينجم عن قراءة الأعاجم والاعراب القرآن فيتكلفون ، ويبتدعون، ومن حسن الحظ أن المتوكل الذى جاء بعد الواثق أغلق باب الفتنة بمصراعيه فى هذا الموضوع الذى تجنبته ، وأشرت اليه عرضا ، لأنه ليس من موضوع البحث ، وانما ذكرته لأن ابن جرير كان شاهد هذه الفترة ، وكان يجمع أخباره ويدونها فى زمن ضعف فيه الاسناد وكثر الوضاع ، اما تدليسا أو حبا للشهرة ، أو تكسبا للقمة العيش ، وكان ابن جرير يستند فى تفسيره القرآن الكريم على مثل هذه الروايات ، وكان قد أدرك بيعة الخليفة عبد الله بن المعتز : صديقه الحميم ، والخليفة الفقيه الشاعر الذى ما ارتضته الغوغائية فذهب ضحية القيادات المتخاصمة من العناصر المتباينة فى أيامه ، وعند مبايعته لم يخرج الطبرى لبيعته اما لكبر سنه ، واما لخوفه ، وقد اغتيل ابن المعتز عام ٢٩٦ هـ فى فتنة عمياء وتوفى الطبرى بعده عام ٣١٠ هـ وقد قيل عن الطبرى رحمه الله انه لا يعتد بالاسناد وذكر الرواة ، وانما ينقل الرواية احيانا دون تسلسل رواتها .

***

من هو زيد بن حارثة ؟ • • ومن هى زينب بنت جحش ؟

أما زيد فهو مولى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان فى سنى الجاهلية اشتراه الرسول وأعتقه ، وتبناه ، فكان يقال : زيد بن محمد • وكانت عرب الجاهلية تعتقد أنه يحرم على الولد المتبنى ما يحرم على الولد من النسب ، ويعطى للمتبنى ما يعطى للمولود من النسب فى الارث ، فنزلت الآية التشريعية : « **وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل • ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم** » (١) •

وأما زينب بنت جحش ، فهى حفيدة عبد المطلب بن هاشم ، وابنة أميمة عمة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهى فى الذروة من النسب فى قريش مثلها مثل العقائل العربيات اللواتى يتفاخرن بالحسب والنسب ويتكاثرن بالمال والنشب ، ولهن الحرية فى اختيار الأزواج ، ولايزوجهن أولياؤهن الا برضائهن وأخذ رأيهن فى الزوج الكفؤ الحر الذى يقتعد مقعد الرجال •

---

(١) الأحزاب : ٤ ، ٥

وقد وردت الروايات المتهافتة بشأن زواجها من زيد ، ففى احدى الروايات الآتية : أن رسول الله قال لها : « انى أريد أن أزوجك زيد بن حارثه فانى قد رضيته لك » — وكان النبى قد أعتقه وتبناه ليرفع مكانته الاجتماعية — فردت زينب على ولى أمرها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقالت : « ولكنى لا أرضاه لنفسى وأنا أيم قومى (١) وبنت عمتك ، فلم أكن لأفعل » ٠٠ ومعنى ذلك أن زينب لم تجد فى زيد الرجل الكفؤ ، فهى حفيدة عبد المطلب بن هاشم سيد قريش ، رأت فى نفسها ترفعا ، حين أدركت أن مكانة زيد فى مجتمع قريش مكانة المولى ، ورجعت الى نفسها تتمنى وتحلم بما تحلم به عقائل قومها فى الزواج من صناديد العرب٠٠ ولكنها لم تجد بدا من الاذعان لولى أمرها حين قال لها : « قد رضيته لك زوجا » فأجابت : « وقد رضيته زوجا يارسول الله » ٠٠ قبول على مضض — كما يقول الرواة — ، لأن بيت الزوجية رغم الاسلام والايمان بقى ينوء بالاختلاف مدة ثلاث عشرة سنة ، حتى فصل القرآن الكريم بينهما ، وفى هذا الفصل أحاطت بالزواج والطلاق الروايات التى جانبت اللياقة فزاد

---

(١) الأيم : العزب ، ذكرا كان أو أنثى ٠

فيها المحدثون والاخباريون ، ونقصوا . وابتدع المفسرون وتكلفوا ، واتهم المغرضون ، ودافع المخلصون ، وفى التفسير والدفاع والاتهام ، أخطاء ستنكشف لنا بعد بحث وتدقيق سليمين ، وارجاع الآراء الى مظانها الخاطئة والصائبة ومكانة الآيات الكريمة من التنزيل ، وتفسيرها تفسيرا صحيحا وفق أسلوب القرآن الكريم ، ووفق أساليب اللغة العربية الجارية مجراه .. والله ولى التوفيق .

***

عرض وتدقيق للروايات التى وردت فى اسباب نزول آيــة : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنــة » ٠٠ الآيــة ٠٠ ورأى المفسرين وبيان الحكم الصحيح بشأنها

الرواية الأول :

أخرج أحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه عن أم سلمة قالت : « قلت يارسول الله ، فمالنا لا نذكر فى القرآن كما ذكر الرجال ؟ ٠٠ فلم يرعنى منه ذات يوم الا نداؤه على المنبر وهو يقول : « **ان المسلمين والمسلمات** » (١) ٠ الآية ٠٠

الرواية الثانية :

أخرج عبد بن حميد والترمذى (وحسنه) ، والطبرانى عن أم عمارة الأنصارية ، أنها أتت فقالت ، ما أرى كل شىء الا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن بشىء ٠٠ فنزلت الآية ٠٠

الرواية الثالثة :

عن ابن عباس قال : « قالت النساء : يارسول الله ، ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات ؟ » فنزلت الآية ٠

---

(١) الأحزاب : ٣٥

الرواية الرابعة :

عن ابن عباس ، أن رسول الله انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الأسدية ، فخطبها، قالت : لست بناكحته ، قال : بل أنكحيه ، قالت : يارسول الله ٠٠ أؤامر نفسى ، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ، قالت : قد رضيته لى يارسول الله منكحا ؟ ٠٠ قال : « نعم » قالت : اذن لا أعصى الله ورسول الله ، قد أنكحته نفسى ٠ أخرجه ابن جرير وابن مردويه ٠

الرواية الخامسة :

عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله لزينب : « انى أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فانى قد رضيته لك » ٠٠ قالت : يارسول الله ٠٠ ولكنى لا أرضاه لنفسى وأنا أيم قومى وبنت عمتك ، فلم أكن لأفعل ، فنزلت هذه الآية : « **وما كان لمؤمن** (يعنى زيدا) ، **ولا مؤمنة** (يعنى زينب) **اذا قضى الله ورسوله أمرا** (يعنى النكاح فى هذا الموضع) ، **أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » (أى ليس لهم الاختيار من أمرهم خلاف ما أمر الله به) قالت : قد أطعتك فاصنع ما شئت ٠٠ فزوجها زيدا ودخل عليها ، أخرجه ابن مردويه (فتأمل) ٠

الرواية السادسة :

عن زيد قال : نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط، وكانت أول امرأة هاجرت ، فوهبت نفسها للنبى ، فتزوجها زيد بن حارثة فسخطت هى وأخوها وقالا : انما أردنا رسول الله ، فزوجها عبده ، وكان زيد تزوج بزينب قبل الهجرة بثمان سنوات ، وبعد أن طلق زيد زينب زوجه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وكان زوجه قبلها أم أيمن التى ولدت له أسامة ، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس سنين وأم أيمن هذه : بركة الحبشية ، بنت ثعلبة ، أعتقها عبد الله ــ أبو النبى ــ وقيل بل أعتقها هو ، وقيل كانت لأمه ، أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين وماتت بعد النبى بخمسة أشهر وقيل بستة .

الرواية السابعة :

ينقل هذه الرواية المفسر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ دون اسناد ومسلسل ، ويقول : خطب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ زينب بنت جحش ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة،فأبت وأبى أخوها عبد الله ، فنزلت الآية ، فقالا : قد رضينا يا رسول الله فانكحها اياه ،

وساق اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا ، وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر . قال الزمخشرى:

« وقيل هى أم كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ، وهى أول من هاجر من النساء وهبت نفسها الى رسول الله ، فقال : قد قبلت ، وزوجها زيدا فسخطت هى واخوها ، وقالا : انما اردنا رسول الله » .

ومضى الزمخشرى فى تفسير الآية على أساس هاتين الروايتين اللتين أوردهما دون سند مع تردده بين ان تكون الآية نزلت بشأن زينب التى عدد مهرها أو بشأن أم كلثوم ، حيث وضع النبى فى موقف خاب فيه أمل أم كلثوم وأخيها فسخطا ، ورأيا فى تصرفه ما يجرح كرامتهما ، حين زوجها لمولاه ، مع أنها ما وهبت نفسها الا رغبة فى زواجها من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال الزمخشرى : « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** » والمعنى ما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين « **اذا قضى الله ورسوله** » ، أى رسول الله ، لأن قضاء رسول الله هو قضاء الله « **أمرا** » من الأمور **أن يختاروا من أمرهم شيئا ، بل من حقهم أن يجعلوا**

رأيهم تبعا لرأيه ، واختيارهم تلو اختياره (فان قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاء من رجل ولا امرأة الا ما كان من شأنه كذا (قلت نعم) ولكنهما وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ، وقرىء تكون بالتاء والياء « **الخيرة** » ما يتخير للذى أنعم الله عليه بالاسلام الذى هو أجل النعم ، وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وأنعمت عليه بما وفقك الله فيه ، فهو متقلب فى نعمة الله ، انتهى الزمخشرى فى روايتيه وفى تفسيره لآية « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** » .. الآية ..

***

التحقيق فى الروايات

وتوجيه الآية وجهتها الصحيحة

أمعن النظر فى الروايتين ، الأولى ، والثانية ، تجد فى الأولى عتابا لأم سلمة مرجها الى النبى فى عدم ذكر النساء فى القرآن كذكره الرجال ، وفى الرواية الثانية تجد احتجاجا من أم عمارة حين قالت لرسول الله : كل شىء للرجال والنساء لا يذكرن بشىء • وفى الرواية الثالثة احتجاج من جماعة من النساء فيه جفاء ، حين قلن : ما باله ؟ ولم يعلم من هو المراد ؟ أهو الله عز وجل المطلوب فى ذلك ، أم القرآن كلام الله ؟ •

وفى هذه الروايات الثلاثة ادعاء بأن الآية نزلت لهذه الأسباب •

واذا رجعنا للقرآن الكريم ، وجدنا ذكر المؤمنات قبل نزول هذه الآيات وبعدها بما يزيد على عشرين موضعا زيدا على ذكر أوصاف المؤمنات بالألفاظ الطيبة كمثل المحصنات ، القانتات •• الخ • وما جاء فى حقهن من الأحكام واكثره متصل

بنون النسوة خاصة فى رفع شأن المرأة ، ومن هنا نستطيع أن نحكم على ابتداع هذه الروايات المتكلفة بشأن نزول الآية ، ومن ثم لا نتردد عن الحكم بسقوطها ٠

وفى الروايتين : الرابعة والخامسة ، أظهرت زينب معارضة شديدة ومانعت فى زواجها من زيد ، فنزلت الآية ونزل فيها جزاء المخالف لأوامر الله ورسوله ، فرضيت على مضض ، وقد نزلت الآية أثناء الحوار ، وبعبارة أخرى طلبت من رسول الله أن ترجع الى نفسها قبل نزول الآية ، فلما نزلت لم تر بدا من الطاعة لأمر الله ، وقالت : مادمت قد رضيته لى يارسول الله ، فقد رضيته ٠

أما الرواية السادسة : فقد أوردها ابن زيد بشأن أمكلثوم بنت عقبة وقال : نزلت بحقها ، وان كان ابن عباس زاد فى هذه الرواية مفسرا « **وما كان لمؤمن** » يعنى زيدا « **ولا مؤمنة** » يعنى زينب ، وقد حمل الآية مالا تحتمل لكى يجعل سبب نزولها ما جاء فى الرواية ٠

وعلى وجه التقريب يروى الزمخشرى بعد مرور خمسة وعشرين عاما روايتين فى أسباب نزول الآية رواية يجعلها

بشأن أم كلثوم ، وأخرى بشأن زينب ، فى وقت انبهم على المفسرين أسلوب القرآن الكريم،وغلب الوضع فى الخبر والرواية وران على الناس فساد الذمم ، وأصبح المفسر الذى يريد أن يفسر آية يجنح الى قواعد النحو للعجمة الفاشية ، فتفوته المعانى ، فيقع بما لا يتفق مع النص القرآن ، فيضع ويستند الى خرافة اسرائيلية ، وقد جنح الزمخشرى الى هذا النحو عندما وصل الى تفسير قوله تعالى : « **أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » فقال : من حق الضمير أن يوحد هنا اذا كان المطلوب من الآية [زيدا أو زينب] ، وسأل نفسه كما هى عادته فى التفسير (فان قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول : ما جاء من رجل ولا امرأة الا ما كان من شأنه كذا (قلت نعم) ولكنهما (مؤمن ومؤمنة) وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ ، وما كان أغناه رحمه الله عن الاعراب لو أدرك بلاغة القرآن وأدرك الغرض من الآية : وهى قاعدة عامة تنفيذية كما يجىء تفسيرها ، وكما أوضح هو نفسه فان عموم النفى يقع على كل مؤمن ومؤمنة .

أعد النظر فى هذه الروايات مرتين أو ثلاثا ، تجد أنها متهافتة لا شأن لها بآية « **واذ تقول للذى انعم الله عليه** » .. الخ

ولو رجعنا الى تقـاليد العرب وعاداتهم فى زواج فتيـاتهم لوجدنا أن الفتاة لها مطلق الحرية فى قبول الزوج عندما يتشاور ولى الأمر فى ذلك ، وأن الحديث الذى وقع بين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزينب لم يتجاوز غير المشاورة . وليس هناك قضاء وحكم فى زواج زينب من زيد وانما هو ايجاب وقبول ، وهذا ما يؤكد لدينـا أن سـبب نزول الآية ما جـاء لهـذا الشـأن .

***

تفسير الآية ومكانتها من التنزيل .. كما أراه :

« .. وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا .. » .

أقول : ان القرآن دستور الاسلام ، وآياته كلها عنوان حضـارة خالدة تعـرب عن قواعد العـدل التى تعنى بروابط الانسانية ، فى الاخاء .. والمساواة والحرية ، فلقد شـرع القرآن حقوق الفـرد والأسرة فى علاقة الفرد بربه وبأخيـه وأسرته ومجتمعه ، وبأولى الأمر ، وعلاقة أولى الأمر بالمجتمع

ولابد لهذا الترابط من مادة أساسية ، تنص على وجوب تنفيذ قواعد هذا الدستور ، فنزلت هذه الآية التى هى أوسع من ذلك النطاق المبتدع ، وأوضح من ذلك الغموض الذى لفه به الرواة ، وأهم من أن يكون نزولها لشخص معين ، انها عامة يدخل تحت مضمونها كل مؤمن ومؤمنة يطلب منهم أداء ما عليهم من الواجبات المفروضة فى الأحكام التى يقضى الله سبحانه بها بوحيه الى رسوله ويقضى بها الرسول بموجب الوحى ٠

***

تفسير الآية :

« **وما كان** » أى ما صح ولااستقام ، ولفظ ما كان وما ينبغى ونحوهما معناه الحض من الشىء أى : لا يحل شرعا أن يكون (لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ٠

لقد جمع الضمير فى قوله (لهم ٠٠ ومن أمرهم) لأن مؤمن ومؤمنة وقعا فى عموم النفى ، فالحكم هنا يعم كل المؤمنين ٠ ولذلك جاء الضمير بلفظ الجمع (الخيرة) مصدر بمعنى الاختيار « **ومن يعص الله ورسوله** » أى من يخالف أحكام الله ورسوله فى أى أمر من الأمور ٠ « **فقد ضل ضلالا مبينا** » أى: حاد عن الصراط المستقيم وضاع ضياعا ظاهرا ٠

المعنى العــام :

الآية قاعدة عامة قائمة بذاتها لا رابطة بينها وبين الآية التى تليها الا من ناحية قربها منها ، ووجودها معها فى سورة الاحزاب التى جاءت بها أحكام أخرى ٠

ومعناها العــام :

لا يستقيم للمؤمنين والمؤمنات الذين يؤمنون بكتاب الله المنزل على رسوله ، الاختيار بين الطاعة والعصيان فيما يقع عليهم من الأحكام التشريعية الصادرة عن الله وعن رسوله بشأنهم ، وانما عليهم تنفيذ ذلك ، حفظا للنظام العام وسيرا على طريق سوى ، لتكوين مجتمع أفضل ، وأى خروج على أوامر الله يعد عصيانا وضياعا ٠٠ والله أعلم ٠

***

الفصل الثاني

عرض ودرس للروايات التى وردت حول تفسير آية « واذ تقول للذى انعم الله عليه ... » . الآية ولآراء المفسرين الذين اعتمدوا على هذه الروايات

روايات ابن جرير الطبرى :

الرواية الأولى :

قال ابن جرير ، حدثت عن محمد بن عمر ، قال حدثنى عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن محمد بن حبان ، قال : جاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيت زيد بن حارثة ، وكان زيد ، انما يقال له زيد بن محمد ، ربما فقده رسول الله الساعة، فيقول : « أين زيد ؟ » فجاء منزله يطلبه ، فلم يجده ، وقامت اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا ، (يقال امرة فضل أى تلبس ثوبا واحدا) فاعرض عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : ليس هو هنا يارسول الله ، فادخل بابى أنت وامى ، فابى رسول الله أن يدخل . وانما عجلت زينب أن تلبس ، اذ قيل لها ، رسول الله على الباب ، فوثبت عجلة ،

فأعجبت رسول الله ، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم الا انه أعلن : سبحان الله العظيم ، سبحان مصرف القلوب (تأمل !) • قال : فجاء زيد الى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له ادخل ، فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى ، قال : سمعتيه يقول شيئا ؟ قالت : سمعته يقول حين ولى : سبحان الله العظيم ، سبحان مصرف القلوب • فخرج زيد حتى أتى رسول الله ، فقال : يا رسول الله ، بلغنى أنك جئت منزلى ، فهلا دخلت بأبى وأمى يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال : (أمسك عليك زوجك) • ففارقها زيد واعتزلها ، فحلت ، فبينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة اذ أخذته غشية فسرى عنه وهو يبتسم ويقول : من يذهب الى زينب يبشرها ، ويقول : ان الله زوجنيها ، وتلا رسول الله : « **واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك** » • الآية •

قالت عائشة : فأخذنى ما قرب وما بعد ، لما يبلغنا فى جمالها وأخرى هى أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها ، زوجها • فقلت : تفخر علينا بهذا •

قالت عائشة : خرجت سلمى خادم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تخبرها بذلك فأعطتها أوضاحا •

الرواية الثانية : من روايات الطبرى ، قال :

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما يريده . وعلى الباب ستر من شعر ، فرفعته الريح ، فانكشف وهى فى حجرتها حاسرة ، فوقع اعجابها فى قلب النبى - صلى الله عليه وسلم - فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر . قال : فجاء زيد ، فقال : يا رسول الله ، انى أريد أن أفارق صاحبتى ؟ . فقال : مالك ؟ أرابك منها شىء ؟ . فقال : لا والله يا رسول الله ما رابنى منها شىء .. ولا رأيت الا خيرا ، فقال رسول الله : « **أمسك عليك زوجك واتق الله** » فذلك قول الله عز وجل : « **واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه** » .. قال الطبرى : تخفى فى نفسك ان فارقتها تزوجتها (١) .

---

(١) الطبرى : ج ٢ ص ٥٦٥

الرواية الثالثة : برأى الطبرى وجماعة أخرين معه :

نقل صاحب فتح البيان فى مقاصد القرآن عن القرطبى ٠٠ قال :

وقد اختلف فى تأويل هذه الآية ، فذهب قتادة و ابن زيد، وجماعة من المفسرين ، ومنهم ابن جرير الطبرى وغيره الى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهى فى عصمة زيد ، وكان حريصا على أن يطلقها فيتزوجها هو ، ثم أن زيدا لما أخبره يريد فراقها ، وشكا منها غلظة القول وعصيان الأمر والأذى باللسان والتعظم بالشرف ، قال له : اتق الله فيما تقوله عنها ، وأمسك عليك زوجك زينب (وهو يخفى الحرص على طلاق زيد اياها ، وهذا الذى كان يخفى فى نفسه ولكنه فعل ما يجب عليه من الأمر بالمعروف) ٠

أمعن النظر فى هذه الروايات تجد خيالا غريبا فقد تخيل واضع الرواية الاولى أن محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ افتقد زيدا ، فذهب الى داره ، وأن زينب خرجت اليه بثوب واحد وأنها أخبرت قبل خروجها أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الباب ، ومعنى ذلك أنه كان فى الدار معها من أخبرها ، فلما رأت النبى ، عرضت عليه الدخول فأبى ٠ وولى يهمهم بكلام لا يفهم ، ثم بكلام معلن ، وفى الرواية الأخرى تخيل الراوى ،

ريحا رفعت ستارة الشعر المسدولة على باب الدار فبانت زينب حاسرة فى حجرتها ، فاعجب بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد هذا الاعجاب ، ادخل الله كره زينب فى قلب زيد ، وفى كلتا الروايتين يقول الراوى ، ذهب زيد يشكوها ويريد طلاقها ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاوره فى أمرها مستفسرا عما يساوره من الشك فيها فنفى زيد كل شر عنها ، وقال : ما رأيت منهـا الا كل خير ٠ وفى الرواية الثـالثة ، يؤكد ابن جرير وقوع الاستحسان فى قلب النبى لزينب ، وحرصه على أن يطلقها زيد ليتزوجها هو وأن زيدا شكا منها غلظة القول والتعظم بالشرف ٠ فقال له النبى «**أمسك عليك زوجك واتق الله**» ويضيف ابن جرير : أن النبى كان يخفى الحرص على طلاق زيد اياها ، وهذا الذى كان يخفى فى نفسه ، ولكنه فعل ما يجب عليه من الأمر بالمعروف ٠

ارجـع الى الآية « **واذ تقول للذى أنعم الله عليه** » ٠٠ الخ ٠٠ ثم أعد النظر كرتين أو ثلاثا فى الروايات كلها ، تجد أنها لا تقف أمام المنطق وأنها هزل لا جد فيها ، وانه الجهل الذى قصر بالمفسرين عن فهم الآية وأهدافها حملهم على تقبل هذه الروايات المتناقضة ، والظروف المتباينة وابتدعوا وتكلفوا ودسوا بأن هناك ريبة ونفى لها من جانب زيد ، وشكوى

بالأذى ، والتعظم بالشرف عليه من جانب زينب ، ومن ثم القاء الكره فى قلبه والمحبة والاستحسان فى قلب النبى من جانب الله عز وجل ، وفى هذا التكلف أطلق ابن جرير رأيه ، وفقا لرواياته فى متعلق الاخفاء والخشــية الذى سنضعه فى مكانه فيما يأتى ، والذى حاد به ابن جرير عن جادة الصواب ، وترك المفسرين يذهبون فى تفسير الآية كل مذهب ٠

***

ولتوضيح ذلك كله ، أجدنى مضطرا الى عرض ما جاء فى آراء المفسرين لأرد الخطأ الى الصواب ومن أهمها ما جاء به الزمخشرى فى كتــابه « الكشاف فى حقــائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل » ٠

الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ :

وضع الزمخشرى تفسيره بعد ما يقرب من مائتى سنة من وفاة الطبرى ، واعتمــد فى جل ما جــاء به على روايات ابن جرير وتأويله ٠

والكشاف من الكتب التى يعنى صاحبه بالنحو والبلاغة

واستخراج المعانى على اساس الاعراب لا على أساس المفهوم الذهنى ، قال فيما جاء بشأن زيد :

« **انعم الله عليه** » بالاسلام الذى هو أجل النعم ، وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه ، وأنعمت عليه بما وفقك الله فيها فيه ، فهو متقلب فى نعمة الله « **أمسك عليك زوجك** » يعنى زينب بنت جحش — رضى الله عنها — وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد أنكحها اياه فوقعت فى نفسه، فقال : سبحان الله مقلب القلوب ، وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ، ولو أرادتها لاختطبها ، وسمعت زينب التسبيحة ، فذكرتها لزيد ففطن ، وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله ، فقال زيد لرسول الله : انى أريد أن أفارق صاحبتى ، فقال : ما لك ؟ أرابك منها شىء ؟ قال : لا والله ما رأيت منها الا خيرا ، ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى ، فقال : « **امسك عليك زوجك واتق الله** » ثم طلقها ، فلما اعتدت ، قال رسول الله : ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك ، اخطب على زينب ، قال زيد : فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها ، فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله ذكرها فوليتها ظهرى ، وقلت : يازينب .. ابشرى ان رسول الله يخطبك .. ففرحت

وقالت : ما أنا صانعة شيئاً حتى أؤامر ربى ، فقامت الى مسجدها ، ونزل القرآن « **زوجناكها** » . فتزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخل بها ، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها فذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم ، حتى امتد النهار فان (قلت) ما أراد بقوله « **واتق الله** » ـ (قلت) أراد : واتق الله فلا تطلقها ، وقصد بنهى تنزيه لاتحريم لأن الأولى أن لا يطلق ، وقيل : واتق الله فلا تذمها ، بالنسبة الى الكبر ، وأذى الزوج فان (قلت) ما الذى اخفى فى نفسه (قلت) تعلق قلبه بها ، وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها ، وسينكحها ، لأن الله قد أعلمه بذلك ، فان (قلت) ماذا أراد الله منه أن يقول ، حين قال له زيد : أريد مفارقتها ، وكان من الهجنة أن يقول له افعل ، فانى أريد نكاحها ، (قلت) كان الذى أراده الله منه أن يصمت عند ذلك ، أو يقول له انت أعلم بشأنك ، حتى لا يخالف سره فى ذلك علانيته لأن الله يريد من الأنبياء تساوى الظاهر والباطن ، والتصلب فى الأمور والتجارب فى الأحوال ، والاستمرار على طريقة مستتبة ، فان (قلت) الواو فى وتخفى فى نفسك (قلت) الواو واو الحال ، أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة أن لا يمسكها ، وتخفى خاشيا قالة الناس ، وتخشى الناس

وحقيقا فى ذلك أن تخشى الله ، أو واو العطف ، كأنه قيل ، وأن تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه ، وخشية الناس ، والله أحق أن تخشاه ، حتى لا تفعل ذلك .

قال الزمخشرى « **فلما قضى زيد منها وطرا** » اذا بلغ البالغ حاجته وتقاصرت عنها همته ، وطالبت نفسه عنها ، وطلقها وانقضت عدتها « **زوجناكها** » . « **وكان أمر الله مفعولا** » جملة اعتراضية ، أى : مكونا لا محـالة ، وهو مثـل لما أراد كونه من تزويج رسول الله زينب ، ومن نفى الحرج عن المؤمنين من اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين ، فى تحريمهن بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ، وساق الزمخشرى الحديث الآتى :

« عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ لو كتم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية » .. انتهى ما جاء به الزمخشرى .

ولا يفوتنى أن أعلق على تفسير العلامة الزمخشرى تعليقا موجزا محتفظا بالتعليق الشامل على تفسيره وتفسير غيره من أجلة المفسرين فى الفصول الآتية وأقول :

لقد اعتمد الزمخشرى على روايات الطبرى الاخبارية التى
تحتمل الصدق والكذب وهى فى خيالها المبعثر تميل الى الكذب،
فتكلف العلامة وابتدع وزاد من عنده ولم ينقص منها شيئا ،
وهو شأن المتأخرين الذين خشى منهم عثمان ـ رضى الله عنه ـ
على القرآن ، بأن يقعوا فى محيط الاستعجام وانبهام أساليب
اللغة فيتكلفون ويبتدعون ، وبين وفاة الزمخشرى وبيان الخليفة
الذى مر بنا نحو من خمسماية سنة ، أفلا يكون قد وقع فى هذه
الدائرة عندما اعتمد على روايات الطبرى،وحمل الآية مالا تحتمل،
والمعروف عنه أنه يركن فى تفسيره الى قواعد النحو ، وأساليب
البلاغة ، وهو شأن أولئك الذين تعوزهم السليقة العربية ،
ومع اعتماده على النحو فقد يقع فى الخطأ من حيث تخونه
المعرفة بلطافة الأسلوب ، فيسلك فى توضيحه دروبا شائكة ،
لقد جانبت الصحة مفسرنا عندما وضع (الواو) فى قوله
(وتخفى) للحال أو للعطف ولم يوجهها التوجيه الصحيح ،
فان كانت للحال فان زيدا هو متعلق الحال ، وان كانت للعطف،
فتكون من باب عطف الجملة على الجملة ففى قوله تعالى [وتخفى،
وتخشى] معطوفتان على جملة « واتق الله » ومثلما جانبته
الصحة فى شأن الواو جانبته المعرفة بأسلوب اللغة ، فان
الأسلوب العربى يقتضى استمرار مقول القول من أول قوله

تعالى : « **امسك** ٠٠ » الى آخر « **والله احق ان تخشاه** » ٠ ثم يلى ذلك « **فلما قضى زيد** » ٠٠ الخ ومن هنا وقع الزمخشرى فى أخطاء كثيرة تسربت اليه من الرواية المفتعلة وحمل الآية مالا تحتمل،من ذلك قوله : ان الله أودع الكره فى قلب زيد لزينب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، واتهم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأنه أخفى ما أعمله الله به ، واتهم زيدا بوسوسة الشك فى نفسه من زينب بدليل استفسار النبى منه عن ذلك وابتدع طلبا موجها من النبى الى زيد ليخطب عليه زينب وهى ابنــة عمتــه مع أن الزواج تم بوحى الهى ، ولى عودة الى الموضوع ٠

راى ابى محمد الحسين البغوى المتوفى سنة ٥١٠ هـ :

ومن تاريخ وفاته رحمه الله دلالة معاصرته للعلامة الزمخشرى ، فقد ذكر البغوى فى تفسيره (معالم التنزيل) أن الله أعلم النبى أنها ستكون زوجته ، وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى وهو الأولى من الآراء ٠ وأن الرأى أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها ، لا يقدح فى حال الأنبياء ، لأن العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الاشياء ، ما لم

يقصد فيه المأثم لأن الود ، وميل النفس من طبع البشر ، وهو رأى ضعيف ، لا يناسب مقام النبوة .

رأى أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى من علماء الشيعة المتوفى سنة ٥٣٨ هـ :

انه معاصر للبغوى والزمخشرى (رحمهم الله جميعا) قال فى كتابه « لباب التأويل فى معانى التنزيل » عند قوله : « **وتخفى فى نفسك** » الذى أخفاه فى نفسه هو : ان طلقها زيد تزوجها ، وخشى لائمة الناس أن يقولوا ، أمره بطلاقها ثم تزوجها ، وقيل ان الذى أخفاه فى نفسه هو : أن الله أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها ، فلما جاء زيد وقال له : أريد أن أطلق زينب ، قال : أمسك عليك زوجك ، فقال سبحانه : لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك (روى ذلك عن على بن الحسين رضى الله عنه) قال الطبرسى وهذا هو المراد ، وهو الذى عوتب عليه ، ولو كان الذى أظهر محبتها أو ارادة طلاقها لأظهره الله تعالى مع وعده انه يبديه .

أقول : وهذا تفسير لا يقبله المنطق (تأمل مكانة الله

سبحانه وتعالى ومكانة نبيه عليه السلام) : فى هذا التأويل الشخصى الذى من حق المنطق أن يرفضه .

راى العلامة ابى الحسن المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ ه :

قال فى الجزء الثانى من كتابه (الكامل) : تزوج رسول الله زينب بنت جحش ابنة عمته ، وكان زوجها زيد بن حارثة، وكان يقال له زيد بن محمد ، فخرج رسول الله يريده ، وعلى الباب ستر من شعر فرفعته الريح ، وهى حاسرة فأعجبته وكرهت الى زيد ، فلم يستطع أن يقربها ، فجاء الى النبى فأخبره ، فقال : أرابك فيها شىء ؟ ، فقال : لا والله ، فقال رسول الله « **امسك عليك زوجك واتق الله** » ففارقها زيد ، وحلت ، وأنزل الوحى على النبى ، فقال من يبشر زينب أن الله زوجنيها ، وقرأ عليهم قوله تعالى : « **واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه** » الخ فكانت زينب تفخر على نسائه ، وتقول : زوجكن أهلوكن وزوجنى الله فى السماء ..

تأمل (هذا السرد الذى لا يمت للآية من قريب أو بعيد) .

راى العلامة علاء الدين الخازن المتوفى سنة ٧٤١ هـ :

قال الخازن فى (لباب التاويل فى معانى التنزيل) متفقا مع البغوى فيما روى عن على بن الحسين : ان المراد بقوله تعالى : « **وتخفى** » أن الذى أخفاه علمه بأنها ستكون زوجته، وأنه عوتب على هذا الاخفاء ، وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى (تأمل) ٠

راى أبى الفداء الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٤٤ هـ :

قال رحمه الله :

ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء ، وأهل التاريخ ، فى سبب تزويجه اياها عليه السلام حديثا ذكره أحمد بن حنبل فى سنده ، وتركنا ايراده قصدا لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه ، وقد قال الله فى كتابه ، « **واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه** » ٠ الآية والمراد بالذى أنعم الله عليه هاهنا ، زيد بن حارثة مولى رسول الله بالعتق وزوجه بابنة عمته زينب ، قال على بن الحسين زين العابدين : والذى كان الله قد أعلم ، أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذى كان فى نفسه عليه السلام ، قال ابن كثير وقد تكلم كثير من السلف هاهنا بآثار غريبة تركناها وقال : الله تعالى : « **فلما قضى**

زيد منها وطرا زوجناكها » ذلك أن زيدا طلقها ، فلما انقضت عدتها بعث اليها رسول الله من يخطبها الى نفسه ، ثم تزوجها وكان الذى زوجه منها رب العالمين ، تبارك وتعالى، كما ثبت فى صحيح البخارى عن انس بن مالك : أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبى فتقول : زوجكن اهليكن وزوجنى الله تعالى فوق سبع سموات . وزاد ابن كثير فقال : عن ثابت عن انس ، قال : لما انقضت عدة زينب قال النبى لزيد : اذهب واذكرها على فانطلق حتى اتاها ، وهى تخمر عجينتها ، قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها أن رسول الله ذكرها فوليتها ظهرى . ونكصت على عقبى ، وقلت : يازينب أبشرى ، أرسلنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى عز وجل ، ثم قامت الى مسجدها ونزل القرآن (البداية والنهاية جـ ٣) .

رأى العلامة الآلوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ :

لقد استند الآلوسى رحمه الله فى تفسيره هذه الآية الى قواعد النحو أيضا فقال : المراد بالموصل « **ما** » فى قوله تعالى « **ما الله مبديه** » ما أوحاه الله تعالى اليه أن زينب سيطلقها

زيد ويتزوجها بعده عليه الصلاة والسلام . واستمر في تفسيره مستندا الى رواية على بن الحسين التى أخذ بها اكثر المفسرين وهى : أن الله أعلم أن زيدا سيطلقها وأنها ستكون من أزواجك ، ويقول الآلوسى : وهذا التفسير مطابق للتلاوة ، لأن الله تعالى أعلم أنه مبدى ما أخفاه عليه الصلاة والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه ، فقال تعالى « **زوجناكها** » وهنا موطن الفخ الذى وقع فيه العلامة الآلوسى ، بعد ألف ومائتين وأربعين عاما من اذاعة بيان الخليفة عثمان ، مع أن الآلوسى من نيرى الفكر المعاصرين فيكف فات عليه التدليس وكيف خفى عليه ما الله مبديه ، وكيف اتفق مع هذا السلف الصالح الذى استغفلهم الدس فحملوا الآية مالم تحتمل ، وكيف استطاع أن يحمل « **ما** » وهو اسم الموصول هذه المعانى البعيدة .

***

خلاصة :

فى هذا العرض الشامل الذى مر بنا فى ذكر روايات الطبرى التى ربكت العلماء فاندفعوا وراءها ، فمنهم من تحرج ، ووقف ينظر اليها نظر المستريب ، لأن الاثم يغمرها،

ومنهم من أراد أن يكتب ويفسر ، رغم غموض المعانى عليه ، فأخذ يدور حول نفسه ليجد لكلامه مخرجا غير أخذ الروايات على علاتها ، واقتباس ما يحلو له منها مع اضافة شىء من عنده، ومنهم من ركن الى قواعد النحو والاعراب يستنجدها فى توضيح ما انبهم عليه ، فوقع فى هوة عميقة ، ولم يجد بدا من الخروج منها الا أن يتكلف ويبتدع ٠

لقد أطلق الطبرى رأية الأول قبل ما يقرب من اثنى عشر قرنا وقال : « كان النبى حريصا على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو ، أى كان يخفى الحرص على طلاق زيد اياها، وهذا الذى كان يخفى فى نفسه ، ولكنه فعل ما يجب عليه من الأمر بالمعروف ٠ وفى رأى آخر له : (تخفى فى نفسك : ان فارقها تتزوجها) ومن هذا المنطلق بدأ المفسرون يؤولون ما يحلو لهم ، فقال البغوى : ان الله أعلم النبى انها ستكون زوجته ، وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن الذى تحتك ستكون زوجتى وقال : ولا يقدح انه أخفى محبتها ، أو نكاحها لو طلقها ٠

وقال الزمخشرى : أخفى فى نفسه تعلق قلبه منها ، وقيل أخفى علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله قد

أعلمه بذلك ، وقال أيضا : ألقى الله فى نفس زيد كراهة صحبتها ، وأن الله أراد من النبى أن يصمت ولا يتكلم ، عندما قال زيد أريد مفارقتها لكى يتم زيد أمر الطلاق حتى لا يخالف سر النبى علانيته ٠

وصفوة القول هنا رأيان :

اولهما : أن الله أعلمه أن زيدا سيطلقها وستكون زوجة له ٠

والثانى:أنه أخفى محبة زينب وارادة طلاقها ٠وقد أمره الله أن يصمت حتى يفرغ زيد من مفارقتها فعاتب الله نبيه على قوله « **امسك عليك زوجك واتق الله** » ٠

قال العلامة ابن حجر ، انما وقع الخبط فى تأويل متعلق الخشية ٠

وقال العلامة ابوبكر محمد بن العربى ، ان أخبار الأنبياء مروية ، وأحاديثهم منقولة ، بزيادات تولاها أحد رجلين : اما غبى عن مقدارهم ٠٠ واما بدعى لا رأى له ، فى برهم ووقارهم فيدس تحت المقال الدواهى ، ولا يراعى الأدلة ولا النواهى ٠ ثم قال : وهذه الروايات كلها ساقطة ٠

واقول : من اين ورد القول بأن الله اراد من نبيه ان يصمت ولا يتكلم عندما قال زيد اريد مفارقتها لكى يتم زيد أمر الطلاق حتى لا يخالف سر النبى علانيته ؟ اليس فى هذا القول اتهام بأن النبى صلى الله عليه وسلم يظهر خلاف ما يبطن ؟ اليس فى هذا جهل بمكانة النبى وبره وسمو الرسالة التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم من كان بين محمد ونفسه فى اخفاء محبتها وارادة طلاقها واين هو الوحى الذى نزل بأن زيدا سيطلقها وستكون زوجة للنبى ، ليس ذلك كله واردا وانما هو الخبط فى متعلق الاخفاء والخوف الذى غمض على العلماء فى سياق الآية فتكلفوا واستندوا الى روايات مدسوسة كما اوضحت ذلك بعرضها ودرسها وسنجد فى تفسير الآية على وجهها الصحيح اهدافها الاجتماعية والتشريعية وقبل أن أبدأ التفسير أجدنى مضطرا الى ذكر موجز عن البيئة الاجتماعية والسياسية التى كانت تحوط برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ٠٠ وبعد من هو « محمد » صلى الله عليه وسلم ؟

***

محمد فى قريش فى مستهل حياته :

بدأ نجم النبوة يتلألأ فى جبين محمد ، ووجد القوم فيه قبل مبعثه صفة الرجولة ، وعلائم العبقرية ، فكان لا يتصرف

الا تصرف الشهم الأبى ، والحليم المتزن ، وكان يخرج مع القوم الى عكاظ ومجنة وذى المجاز ، الى هذه الأسواق العامة التى كان يقيمها العرب فى الأشهر الحرم بجوار مكة ، وكانت تعرض البضائع وتنشد الأشعار ، وكان كل شخص ، ينشر رأيه ، ويبدى عقيدته ، وهو آمن مطمئن ، لأنه فى الأشهر الحرم ، وكان محمد يجد فى هذه المعارض المزدحمة آفاقا واسعة للتفكير فى خلق الله وفى نفســه ، وقــد أجمعت قريش على تسميتــه بالصادق الأمين ، فأخذوا يحكمونه بمــا شــجر بينهم . هكذا كان محمد فى مستهل حياته ، أما هو فى القرن العشرين فى نظر المفكرين فهو فى الذروة وعلى رأس ماية عبقرى مختار من عباقرة العالم وخليفته الثانى عمر بن الخطاب الذى تخرج فى مدرسة النبوة على رأس الخمسين منهم .

وفى مستهل النبوة وعندما اصطفاه الله رسولا للعالمين نزلت الآية الكريمة : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » (١) .

هذا الرسول الرؤوف الرحيم الذى تعز عليــه متــاعب

---

(١) التوبة : ١٢٨

المؤمنين فيحرص على شئونهم بالرأفة والرحمة ، كان يتمتع بشخصية ممتازة غير عادية فمع أنه الرسول المصطفى كان رجل دولة ، ومكون أمة ، وناشر عقيدة ، وواضع شريعة سماوية ، حفظت حقوق الناس فى العدل والمساواة والاخاء والحرية ، وانعدام الطبقات ، وحررت الأمة من الوثنية · وأنبتت حضارة يحفها الأمن والطمأنينة على الأنفس والأموال والثمرات وحالت دون استغلال الفرد لأخيه ، وأسست مجتمعا شعاره : الكل للفرد ، والفرد للكل · (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) فانطلقت طاقات الابداع فى الأمة الاسلامية فى مجالات : العلم والأدب والفن والصناعات وطفقت المجتمعات البشرية فى كل وحدة من وحداتها تنشد مثل هذه الكرامة التى استهل بها الاسلام عهده ، وكانت الشورى أبرز نظام الحكم فى هذا العهد « **وشاورهم فى الأمر** » (١) فكان لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ مجلس شورى وكان أعضاء هذا المجلس يدعون النقباء ، منهم : أبوبكر ، وعمر ، وعلى ، وحمزة ، وجعفر ، وابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وأبوذر ، والمقداد · وكان أبوبكر يسمى وزيره وهو أول لقب فى الاسلام ظهر فى نظام الحكم ، وكان كعب بن عمر صاحب المغانم ، وكان

(١) آل عمران : ١٥٩

حذيفة بن اليمان : يخرص النخيل ٠ وكان العلاء بن عقبة : يكتب بين الناس فى دورهم ومياههم ، وكان للنبى ديوان يشبه ديوان الخارجية ، وكان عبد الله بن الأرقم صاحب هذا الديوان ، يتلقى رسائل الملوك ويجيب عنها وكان له ديوان أشبه بديوان العدل ، ويقوم بالعمل فى هذا الديوان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات وديوان يشبه ديوان الاعلام ، وكان يقوم بذلك حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك يستقبلون الوفود ويجيبونهم عن التفاخر والتكاثر ٠ وكان للنبى ديوان أشبه بديوان الترجمة ، ويقوم بذلك زيد بن ثابت يترجم عن : الفارسية والرومية ، والقبطية ، والحبشية ، والعبرية ٠ وقد عين الرسول الولاة ، وعين لهم الأجر ، وكان أجر والى مكة ثلاثين درهما فى الشهر ، وكان النبى يختار الولاة ويرسلهم الى أرجاء الجزيرة ، ولا يقع اختياره الا على الرجل الأمين القوى الذى يتحمل المسئولية ، ويبت فى الأمور على وجهها الصحيح، ولا يخشى فى الله لومة لائم ٠

أرسل معاذ بن جبل واليا على اليمن فقال له : « بم تقضى يامعاذ ان عرض لك قضاء ؟ » قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ » قال : اقضى

بما قضى به الرسول ، قال : « فان لم يكن فيما قضى به الرسول » قال : أجتهد رأى ولا آلو . قال معاذ : فضرب صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله » .

وجاء أبوذر يبغى وظيفة يقوم بها ، فقال : يارسول الله .. ألا تستعملنى ؟ . فضرب يده على منكبه ، ثم قال: « يا أبا ذر ، انك ضعيف وانها أمانة ، ويوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه » ..

***

علاج الاستقرار فى الأسرة اذا وقع خلاف بين الزوجين :

ومن أسس تنظيم المجتمع الاسلامى الذى نزل به الوحى الالهى ، ما جاء فى شأن الزوجين اذا وقع الخلاف بينهما ، أن يذهب حكم من أهله وحكم من أهلها ، لاصلاح ذات البين ، « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا** » (١) فان تم الاصلاح انتهى الأمر

---

(١) النساء : ٣٥

عند هذا الحد ، وعادت الحياة الى طبيعتها الأولى وان لم يتم جنح الفريقان الى الطلاق ، وقد عالج القرآن هذه الحالة علاجا انسانيا ساميا ولم يترك المرأة ريشة فى مهب الريح ، ولم يقيد الرجل فى حياة مغمورة بالألم واليأس ، فالطلاق فى شـريعة القرآن ، مرتان : امساك بمعروف ، أو تسـريح باحسان ، وفى هاتين المرتين يحق للرجل أن يعود الى أسرته اذا عضت أسنانه اصبع الندم • وقد أعطاه التشريع فترة كافية للتفكير بالأمر ، فاذا وجد الالتقاء صعبا أوقع الطلاق مرة ثالثة وعند هذا الحد ينتهى كل شىء ولن ينفع الندم حيث سدت الشريعة فى وجهه كل أمل ، الا الأمل الاخير ، وذلك اذا تزوجت المرأة ومات عنها زوجها الثانى ، أو حدث اختلاف بينهما فتفرقا ، وفق الأصول المرعية فى القرآن ورغب المطلقان الأولان أن يعودا الى سالف حياتهما ، وبلغ بهما الندم مبلغه ، عند ذلك يمكن العودة بعقد جديد ، حيث جرب كل منهما مصاعب الحياة الثابتة ، وأخذ درسا وعبرة من حوادث الأيام •

بمثل هذه القواعد الأساسية فى الشريعة التى نبعت من الوحى الالهى كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعالج أمور المجتمع الاسلامى الجديد • وكان الصحابة يحيطون به، يتسمعون كلامه ، يحفظوه ويتتبعون حركاته لتكون لهم فيه

أسوة • والمدينة مع كونها مركز المجتمع الاسلامى فى عهد النبوة ومهبط الوحى التشريعى بعد مكة ، كانت أضيق من كفة الحابل من يقف فى أحد جوانبها يبصر الجانب الآخر بالعين المجردة • وفى كل وقت كان بوسع النبى أن يبعث أحد الصحابة الى زيد ليحضره عندما بلغ الشقاق بين زيد وزوجه مبلغه ، فقد كان زيد مولاه ، وكانت زينب ابنة عمته، تزوجا برضاء من النبى واستمرت حياتهما الزوجية ثلاث عشرة سنة لم ينجبا مولودا ، وكان الاسلام فى عنفوانه وفى مشرق دعوته والتقاليد الطبقية العربية لا تزال حية ، والفارق بين عقيلة من عقائل قريش ، وبين مولى معتق كان كبيرا ، ولم يكن هناك طفل يلطف جو الأسرة ويربط بين المرء وزوجه فبلغ الشقاق مبلغه ، ويظهر ، أنه لم يفد الوفاق وكان زيد يكتم كل ذلك ، حتى بلغ السبيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، كما تقول العرب ، فأظهر الله هذا الخلاف بكثرة شكاوى زيد رغم كتمانه ، وفى احدى شكاواه قال له النبى_ صلى الله عليه وسلم _ أمسك عليك زوجك واتق الله فأن الله قد أظهر ما تخفيه فى نفسك من اصرارك على فراقها ولكنك تخشى قالة الناس ، والله أحق ان تخشاه •

وفى اصرار زيد على انهاء الرابطة الزوجية تم الطلاق

وبقيت هذه المرأة الفاضلة مهيضة الجناح لا عائل لها ، فاضيفت الى بيت النبوة مع ازواجه – صلى الله عليه وسلم – بأمر من الله ولغاية تشريع جديد وتقرير ابطال تقاليد جاهلية فى كون الولد المتبنى له منزلة الولد من النسب .

وبعد هذا العرض الموجز أسأل القارىء : أترى أن هؤلاء المفسرين الأجلاء حين أقدموا على هذه المجازفة الخطيرة وتسابقوا فيما بينهم ، يأخذ بعضهم عن بعض فى زيادة ونقص ، أتراهم ، فتشوا عن تهافت الروايات ، ودققوا فى تناقض معانيها ؟ هل رجعوا الى معرفة مكانة محمد – صلى الله عليه وسلم – حيث يحيط به صحابته ، ومجلس شوراه، لانجاز أعمال جبارة فى تثبيت العقيدة والدفاع عنها ، ألا يعلمون أن حركات النبى وسكناته مسجلة عليه من أصحابه ، والله من ورائهم محيط يعينه بالوحى المنزل كلما اشتد بهم الأمر أو وقعت مشكلة من مشاكل المجتمع .

أجدنى الآن فى حل مما عرضته من التفاسير لأعود وأفسر الآية التفسير الصحيح بما يتفق مع الأهداف الاسلامية ونصوص القرآن الكريم ..

والله ولى التوفيق ..

تفسير الآية

« ... واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » (١) ..

المفـــردات :

« **واذ تقول** » الخطاب موجه الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى اذ تقول يا محمد « **للذى انعم الله عليه** » أى أعطاه نعمة الاسلام « **وانعمت عليه** » أى منحته الحرية بعتقه من الرق « **امسك عليك زوجك** » أى : احتفظ بزوجك « **واتق الله** » أى : خف الله ، والأمران يدلان على أن شقاقا حدث بين الزوجين وفى الأمر « **امسك** » دليل على حرص

---

(١) الأحزاب : ٣٧

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بقاء زينب بعصمة زيد ؛ وفى الأمر « **واتق الله** » تذكر لزيد بنعمة الاسلام ، تلك النعمة التى من أجل فضائلها الاعتصام بالرابطة الزوجية ، الذى جاء فى قوله تعالى : « **ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (١) .٠

والمعنى : خف الله فى حق رابطة زوجية استمرت ثلاث عشرة سنة « **وتخفى فى نفسك** » الكلام لايزال موجها الى زيد، أى وتضمر فى نفسك « **ما الله مبديه** » مظهره « **وتخشى الناس** » تخاف قالة الناس ، الواو فى « **وتخفى** » « **وتخشى** » للحال ، ومتعلق الاخفاء والخوف زيد ، أو للعطف ، فتكون العبارة من باب عطف الجملة على الجملة ، فيكون المعنى : أمسك عليك زوجك واتق الله الذى أظهر ما تخفيه فى نفسك من اصرارك على فراقها وما تبديه فى شكواك المتكررة ولكنك تخشى قالة الناس حول هذا الاصرار والله أحق أن تخشاه هذا اذا اعتبرنا الواو للحال ، واذا اعتبرنا الواو للعطف ، فتكون جملتا (وتخفى وتخشى) معطوفتان على الجملتين فى

(١) الروم : ٢١.

قوله تعالى : (أمسك ، واتق) ، وهو ما يتطلبه سياق التلاوة، لأن الآية نزلت بحق زيد ، والأسلوب البلاغى يقتضى استمرار مقول القول حتى النهاية التى يكتمل بها المعنى ، أى لا يقف عند قوله تعالى واتق الله والا يكون مثلنا مثل ذلك الملحد الذى يقرأ من القرآن الكريم « **فويل للمصلين** » (١) ثم يسكت ، ولا يكمل الآية بقوله تعالى « **الذين هم عن صلاتهم ساهون** » (٢) ٠ وبعبارة أوضح : احتفظ يا زيد بزوجك واتق الله فى أمرها ولا تفشى أسرار الزوجية بينكما فى الاكثار من شكواك التى اظهر الله بعضها على لسانك ، وخف الله من اصرارك على فراقها ، ولا تخشى قالة الناس فى عدم قدرتك على أن تكون سيد بيتك وأن زوجك تؤذيك بترفعها عليك ، فان الله الذى أنعم عليك نعمة الاسلام ، وجعل بينك وبين زوجك مودة ورحمة أولى بأن ترى شريعته وأحق بالخشية من الناس ٠

(الوطر) قال أبو عبيدة الوطر : الأرب والحاجة ٠ وقال المبرد : الوطر المحبة والشهوة ، وجاء فى (موجز البيان فى معانى القرآن) فى تفسير قوله تعالى « **فلما قضى زيد منها**

---

(١) الماعون : ٤ (٢) الماعون : ٥

وطرا » أى حاجة ، بحيث ملها ، واصبح لا يريدها لتعاليها عليه ، وفى أصول اللغة : قضاء الوطر : بلوغ منتهى ما فى النفس من الشىء يقال : قضى وطرا منه اذا بلغ ما أراد من حاجته « **زوجناكها** » وقرىء (زوجتكها) ، وقد حمل المفسرون هذه الجملة تبعا لأقوال الرواة مالا تحتمله من المعانى المتضاربة، وكل ما فى الأمر أن هذه الجملة تم بها زواج النبى – صلى الله عليه وسلم – بوحى سماوى معلل بقوله «**لكى لا يكون على المؤمنين حرج** » لتاكيد التشريع الاسلامى واقراره : بأن المولود المتبنى غير المولود من النسب وهى قاعدة عامة لكل المؤمنين .

« **حرج** » ضيق ومشقة ، اثم ، « **أدعيائهم** » الأدعياء جمع دعى ، وهو الذى يدعى ابنا من غير أن يكون ابنا على الحقيقة .

والمعنى : ان نساء الأدعياء حلال على الذين يتبنوهم ، فليس الولد المتبنى مثل الولد الصلبى ، لأن الولد من النسب تحرم امرأته على أبيه كما لا يحرم على المتبنى أن يتزوج ابنة متبنيه أو أخته ومثلما يحل له هذا لا يجوز له أن يشترك بالارث مع ولد النسب .

« **سنة الله** » (١) أى شريعته التى تتبع فى هذه الوجهة الاجتماعية مرت بها الأمم السالفة من قبل ، وفى تفسير كلمة سنة الله أورد بعض المفسرين روايات اسرائيلية تافهة ، ضربنا صفحا عن ذكرها .

***

خاتمـة .. وعود على بدء :

لم يكن سبب نزول الآية الكريمة « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** » . الآية من أجل احتجاج أم سلمة وأم عمارة وغيرهما من النساء على اقتصار القرآن على ذكر المؤمنين ولم يذكر المؤمنات ، وقد أوضحت بطلان ذلك ، بما جاء فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، بذكر المؤمنات ، ولم يكن سبب النزول من أجل أم كلثوم وزينب لتهافت الرواية ، وانما الأساس الأول فى سبب نزولها ، أنها قاعدة تنفيذية عامة ، جاء بها القرآن الكريم لتنفيذ جميع الأحكام المنزلة ، وعلى تنفيذ ما يقضى به الرسول وفقا للوحى المنزل عليه ، فهى أوسع نطاقا ممـا ضيقه الرواة ومن الواضح أن ما جاء فى تلك الروايات المتهافتة

---

(١) الأحزاب : ٣٨

التى صيغت لتفسير هذه الآية امور خاصة داخلة تحت هذا العموم ، فاتخذت وسيلة لخيال ما انزل الله به من سلطان .

واما آية « **واذ تقول للذى انعم الله عليه** » . الخ الآية فهى آية تشريعية نظر فيها الى اهداف اجتماعية سامية ، منها اصلاح ذات البين بين الزوجين اذا وقع بينهما شقاق يؤدى الى هدم الأسرة ، وأن يكون هذا الاصلاح عن سبيل حكم من أهل الزوجة ، وحكم من أهل الزوج وظاهر الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم أهل للاثنين ، فان زيدا مولاه ، وان زينب ابنة عمته ، وهو الذى زوجهما ، وهو ولى أمرهما ، فلما اشتد الشقاق بينهما ، بحيث أصبحت الزوجية لا تطاق بعد زواج استمر ثلاث عشرة سنة لم ينجبا أثناءها مولودا أوضحت الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى تولى اصلاح ذات البين . فأحضر زيدا وأمره أن يحتفظ بزوجه ولا يفرط فيها ، وأن يخاف الله بما يضمره لشأنهما ولا يخشى قالة الناس فى أمرهما من خلاف فان الله قد انعم عليه بالاسلام ووضعه بمكانة الكفؤ لها « **انما المؤمنون اخوة** » (١) . ومن المعانى السامية التى تدل عليها هذه الآية : القضاء على

---

(١) **الحجرات** ع ١٠ .

النعرة الجاهلية بازالة الطبقية بحيث أصبح المؤمن المعتق كفؤا للمؤمنة ٠

وقد أصر زيد على فراقها رغم كل ذلك ، وتم الطلاق بانهاء الرابطة الزوجية وبعد أن تم الطلاق نظرا لاستحالة استمرار العشرة الزوجية ، أصبحت هـذه المرأة الفـاضلة مهيضة الجناح وهدفا لقالة الناس ، فنزل الوحى باضافتها الى بيت النبوة ، فليس لها عائل غير النبى – صلى الله عليه وسلم – وفى هذا هو معنى السمو فى العدالة الاسلامية حيث تم الزواج بأمر من الله عز وجل ٠

***

ومن الأغراض السامية فى هذه الآية :

٠٠٠ ذلكم التشريع الاجتماعى العادل الذى حدد ما بين الولد من التبنى والولد من النسب ٠ فان المتبنى لا يحرم عليه ما يحرم على الولد الصلبى ، ولا يشاركه فى الارث ٠ فاللولد المتبنى الحق فى الزواج من زوج متبنيه وللولد المتبنى الحق فى التزوج من زوجة المتبنى اذا وقع بينهما فراق بموت أو طلاق ٠

ولم ينس التشريع أن يرفع من مكانة الأدعياء ، قال

تعالى : « **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم** .. » (١)

وصفوة القول ان أسلوب الآية البلاغى منصب على مخاطبة زيد من أول قوله تعالى : « **أمسك عليك زوجك** » الى آخر قوله : « **والله أحق أن تخشاه** » .. ومن قوله تعالى : « **فلما قضى زيد منها وطرا** » الى آخر قوله تعالى : « **وكان أمر الله مفعولا** » .. خاص بالنبى – صلى الله عليه وسلم – وفى كل ذلك تشريع عام للمؤمنين جميعا .

والله أعلم .

***

---

(١) الأحزاب : ٥

محتويات الكتاب

الصفحة

الفصـــل الثانى :

الصفحة

رقم الايداع ٣٤٤٤ / ١٩٨١
الترقيم الدولى ١ _ ٢٦ _ ٧٣٣٥ _ ٩٧٧